الخط النبطي وأثره على الخط العربي

أ. د. ناهض عبد الرزاق دفتر و أ. د. سهيلة مزبان حسن

يُعد الخط من السمات الحضارية في توضيح حضارة العرب قبل الاسلام، على الرغم من أن المعلومات المتوفرة عن ذلك لازالت غير كافية وأحياناً غير دقيقة، وبعضها يتعارض مع الأدلة المادية في أصل الخط العربي حتى أن بعضها شبه أسطورية(١).

عد الأنباط من أجداد العرب، ومن الشواهد التي خلفها لنا الأنباط الكثير من النقوش التذكارية والنقود، إضافة إلى العديد من المدن الكبيرة مثل البتراء (سلع) ومدائن صالح وبصرى.

لقد كشفت لنا النصوص التذكارية عن بعض معالم الحياة اليومية والاجتماعية عن الكثير ما غمض من أسرار الماضي(٢). ويجب أن نشير إلى أن معظم النقوش النبطية التي وصلتنا كانت نقوش شخصية مثل تقديم قربان أو ذكر أسماء الملوك أو تجار(٣). ونظراً لعدم وجود تقويم ثابت عن تلك الحقبة الزمنية، فقد كان القليل من تلك النقوش مؤرخة من سنوات حكم الملك أو بأيام الرؤساء. لذلك اضطر الباحثون في هذا المجال إلى توسيع نطاق بحثهم لمعرفة أسماء الأشخاص الواردة في النصوص ومعرفة بعض التواريخ بالمقارنة مع ما ورد في تواريخ وادي الرافدين ووادي النيل وبلاد الشام واليونان والرومان(٤). ويعود الفضل إلى كشف عن النصوص النبطية ودراستها إلى جهود عدد من الباحثين والمستشرقين منهم :

١. الرحالة السويسري يوهان لودفيج بروكهات، والذي زار الحجاز بزي عربي مسلم متسمياً نفسه (إبراهيم بن عبد الله) ومظهراً رغبته بالحج فزار مكة، كما انه اكتشف مدينة البتراء عاصمة الأنباط سنة ١٨١٢م(٥).
٢. المستشرق الفنلندي جورج اغطس ولين، والذي قام بزيارة نجد سنة ١٨٤٥م، ودرس اللهجات العربية، وكشف عدة مقابر نبطية(٦).
٣. الرحالة الهولندي سنوك هرغويه، والذي كتب عن أحوال الحجاز في السنوات ١٨٨٥ – ١٨٨٦ م.
٤. المستشرق الانكليزي تشارلز دوتي، والذي زار شمال شبه الجزيرة العربية وكشف عدداً من مقابر الأنباط في مدائن صالح وكتب كتابة المشهور (رحلات في الجزيرة العربية) سنة ١٨٨٨م.
٥. الباحثان هوبر و او تينج اللذان قاما برحلات عديدة في الجزيرة العربية خلال السنوات ١٨٧٦-١٨٨٤ م وكشف العديد من النصوص النبطية في شمال الجزيرة.
٦. العالم التشيكي الويس موسيل الذي زار العديد من المواقع طرق التجارة التي كانت مستخدمة في عهد الأنباط ووصفها في مؤلفاته.
٧. وقد ساهم كل من برونون ودوماتسكي ودولمان في الكشف عن آثار البتراء وما جاورها(٧).
٨. الانكليزي برترام توماس والذي تمكن من عبور الربع الخالي لأول مرة في سنة ١٩٢٩م حيث كشف أكبر بقعة مجهولة في الجزيرة.
٩. هنري سان جون فلبي، والذي عرف باسم (عبد الله فلبي) والذي قام بعدة رحلات، ألف فيها عدداً من المؤلفات، كان آخرها في سنة ١٩٥١- ١٩٥٢م وحمل معه ألف ومائتين نقشاً نبطياً مختلفاً(٨).
١٠. قامت البعثة الأمريكية سنة ١٩٦٢ بمسح العديد من المواقع الأثرية في المملكة السعودية ونقلت معها الكثير من صور النقوش النبطية(٩).
١١. في سنة ١٩٦٦م حصلت روت شيل على مجموعة من النقود النبطية إضافة لدراسة عدد منها(١٠).
١٢. نشر المستشرق الفرنسي دوسو كتابه (العرب في سوريا قبل الإسلام) ذكر فيه العديد من النقوش النبطية(١١).

إضافة إلى ما تقدم هناك العديد من الجهود التي ساهمت في دراسات مختلفة عن الأنباط، وخاصة الجوانب التجارية منها، حيث اشتهرت الأنباط بالتجارة، وقد تحتاج هذه المهنة إلى تدوين الكثير من المعلومات المتعلقة بمهنة التجارة، وحتى سنة ١٠٦م حيث تمكن تراجان من القضاء على دولة الأنباط(١٢).

لقد ترك لنا الأنباط الكثير من النقوش في مختلف المناطق التي سكنوها والتي وصلوها بتجارتهم، وقد تضمنت تلك النقوش أسماء الأرباب التي عبدوها، وأسماء عدد من ملوكهم وملكاتهم، وبعض شعائرهم الدينية وغير ذلك وتنقسم نقوشهم إلى عدة أنواع(١٣).

١. نقوش تذكارية قصيرة، مثل عثر عليها في البتراء ومدائن صالح وسينا، منها نص " هاني بن نثير بن عاتم ".

٢. نقوش دفن وهي على نوعين، نوع ترد فيه كلمة (قبر) او ما يناظرها، ونوع لا يرد فيه سوى اسم المتوفى.

٣. نقوش معمارية يذكر فيها اسم المبنى والباني والتاريخ غالباً واحياناً يحذف ذكر المبنى لشهرته، ومن امثلة ذلك (هذا هو المقدس الذي صنعه ن.ن، بن بدر الله). او مثل (هذا هو الحائط الذي... والنوافذ التي بناها تيم بن... لذي الشرى وسائر الهة بصرى).

٤. نقوش وقفية : يذكر فيها اسم الواقف والشيء الموقوف واسم الاله (او الالهة) الذي من اجله قدم ذلك الوقف مثال على ذلك : (هذا هو حجر العبادة الذي قدمه باهكورو بن اوس للات ربة المكان).

٥. نقوش تكريمية : وهي نادرة عند الانباط وقد وجد منها نقش واحد في جنوب حوران، جاء فيه مايلي: (في السنة الثالثة والثلاثين من حكم سيدنا قليب صنع وترين بدر بن قاصيو بن سوادي وحن ايل بن مسك ايل ومنع جرم هذا المذبح لتمثل جالس بن بنت... انعم بن عصب هو النحات سلام).

٦. نقوش نبطية تمثل توقيعات النائين، او توقيعات تدل على الملكية ففي النقش السابق والذي ورد فيه توقيع النحات هو انعم بن عصب، وجاء اسم الصانع في نقش اخر نصه : (حور بن غبيثت هو الصانع او الفنان)، وجاء في نقش نبطي اخر ما معناه (هذا هو المكان المحفوظ لمرد الملك (او لسيدنا مالك).

من الواضح ان هذه النقوش النبطية على كثرتها لا تتحدث عن احداث تاريخية، وانما هي نصوص قصيرة معظمها تذكارية تذكر اسماء ليس لها اهمية عدا ما حملته النقود النبطية من ذكر اسم الملك او الملكة او عبارات اخرى. ومن دراسة بقية الاثار في المدن النبطية او الهياكل والتماثيل والرسوم والفخار والخزف والمصنوعات المعدنية، استطاع الباحثون معرفة الكثير من جوانب حياة الانباط ومعتقداتهم، ومقدار ما وصلوا اليه من مستويات صناعية وتقنية ومهارات معمارية(١٤).

النقود النبطية : يمكن اعتبار النقود النبطية من المواد الاولى التي حملت الكتابة النبطية، اضافة الى اعتبار النقود ظاهرة حضارية تنم عن التقدم التجاري والتقني الذي حققه الانباط، وعلى الرغم من قلة هذه النقود لكنها حملت العديد من اسماء ملوكهم وملكاتهم اضافة الى نصوص نبطية اخرى، وقد كانت تلك النقوش الصورية والكتابية تنقش على قالب السك بصورة غائرة ومعكوسة، وعند طرقها على قطعة المعدن تظهر بالصورة البارزة والصحيحة. لقد عملت تلك النقود من الفضة والنحاس وحملت صور ملوكهم ومنهم الحارث الثالث ٧٨-٦٢ ق.م.، وفي الجانب الاخر للنقد رسم الهة النصر، وقد سلك الملك النبطي عبادة الثاني بن الحارث الثالث ٦٢-٤٧ق.م. نقوداً حملت صورته وصورة زوجته.

لقد تميزت نقود دولة الانباط بحملها صورة الملك او الملكة او كليهما مع الحرف النبطية منذ ايام (عبادة الثاني ملك الانباط)، كما انهم كتبوا تاريخ السك من سنوات حكم الملك وكتبوا اسم الملكة ايضاً. وقد نقش الملك النبطي مالكوس الاول ٤٧-٣٠ ق.م. عبارة (الملك مالكوس ملك الانباط) في طوق الظهر للمسكوكة. وقد نقش كل من الملك النبطي الحارث الرابع (٩ قبل الميلاد الى ٤٠م) والملك رابل الثاني ٧٥-١٠١م على مسكوكاتهم العبارة التالية بالخط النبطي : (الملك الذي أحبه شعبه) واستمر ملوك دولة الانباط في اصدار النقود حتى سنة ١٠٦م، بعدها استولى الروماني تراجان على عاصمتهم البتراء(١٥).

مما تقدم نجد ان الكتابة النبطية قد ظهرت في نقوش جدارية وعلى النقود، وقد اكدت الدراسات المتخصصة بالخط النبطي انه كان قد انحدر عن الخط الارامي، ولكن الأنباط طوروه، والسؤال من هم الأنباط، الأنباط قبائل عربية هاجرت من الجزيرة العربية وسكنوا منطقة الهلال الخصيب في بلاد الشام منذ القرن الثالث ق.م(١٦). وأسسوا عدداً من المدن منها في شمال مثل البتراء (سلع) وفي الجنوب مدائن صالح في الجزيرة العربية، وكانت في ذلك الوقت عامرة بالمياه والأشجار. وخلال القرن الثالث ق.م. سيطر الأنباط على الطرق التجارية في جنوب الجزيرة وحتى البحر المتوسط وبين الشام ومصر(١٧). وكانت دولة الأنباط تستفيد من الرسوم المالية التي تفرض على مرور البضائع التجارية، وقد أدى ازدهار مملكة الأنباط وتدفق الأموال عليها خلال القرن الثاني قبل الميلاد الى أحكام

سيطرة الأنباط على جميع الطرق التجارية، وفي عام ٨٥ق.م. استطاع ملكهم الحارث الثالث ان يحرر دمشق من سيطرة السلوقيين،وبذلك احكم السيطرة على التجارة بين البتراء ودمشق عبر الأردن (الحالية) ثم بصرى والتي كانت من مراكز التجارة المزهرة حينذاك(١٨).

ويظهر بوضوح ان المهنة الرئيسية لسكان الأنباط كانت التجارة، ولربما كان ذلك من العوامل الأساسية التي جعلتهم يشعرون بالحاجة الضرورية لتعلم الكتابة، فكتبوا أول الأمر بالحرف الارامية والتي كانت منتشرة حينذاك، وعن الخط الارامي ولد الخط النبطي والذي ذما بسرعة واستقل عن الخط الارامي. وقد مر الخط النبطي بمرحلتين الأولى الخط النبطي القديم، والثاني شهدت ظهور ما يعرف بالخط النبطي المتأخر، ومن هذا الأخير ولد الخط العربي، حيث ظهرت بوضوح في النقوش النبطية المتأخرة حيث تضمنت بعض الكلمات العربية. ومن هنا يبدأ أثر الخط النبطي على الخط العربي وهي:

١. نقش وادي المكتب والذي عثر عليه في شبه جزيرة طور ويتكون النقش من سطرين ومؤرخ سنة ٢١٠م.

٢. نقش وادي فران ويقع أيضاً في وادي طور سينا من ثلاثة اسطر ومؤرخ سنة ٢٣٠م(١٩). احتوى هذا النص بعض الكلمات العربية.

٣. نقش طور سينا المؤرخ سنة ٢٥٣م.

٤. نقش مدائن صالح مؤرخ سنة ٢٦٧م ويتكون من تسعة اسطر تضمن بعض الكلمات العربية.

٥. نقش أم الجمال عثر عليه في مدينة ام الجمال وهي واحدة من المدن النبطية وتقع في الأردن بالقرب من مدينة المفرق، والنقش مؤرخ سنة ٢٧٠م ويعود لقبر فهر بن سلي مربي جذيمة ملك تنوخ، والنص يتكون من ثلاثة اسطر، وله أهمية في تحديد هوية أو شكل الحرف العربية الأولى واعتبر هذا النقش بداية مهمة لظهور الحروف والكلمات العربية(٢٠)، وقد كان مضمون النقش (هذا قبر فهر/برسلي مربي جذيمة / ملك تنوخ)(٢١).

٦. نقش النمارة مؤرخ سنة ٣٢٨ م عثر عليه في جبل الدروز ويتكون من خمسة اسطر(٢٢)، وهو شاهد قبر الملك امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب وعاصمته الحيرة، والنقش محفوظ بمتحف اللوفر وقد ضم النقش العديد من الكلمات العربية(٢٣).

وتضم متاحف العالم اليوم من ثلاثة الاف نقش نبطي نتيجة لما قام به الرحالة والمستشرقون على مدى قرون طويلة من جمع ونقل وتصوير هذا العدد الكبير من النقوش النبطية، ونتيجة للدراسات لخصائص الخط النبطي ومنها :

١. خلو الخط النبطي من الشكل والاعجام (الحركات التنقيط).

٢. عدد الحروف النبطية اثنان وعشرون حرفاً.

٣. تبدأ الكتابة فيه من اليمين الى اليسار.

٤. إسقاط حرف من بعض الأسماء مثل حارث تكتب حرث.

٥. أداة التعريف في الخط النبطي وهو الالف الممدودة بنهاية الاسم مثل ملك تكتب ملكا، ونقش تكتب نقشا.

٦. استخدمت في الكتابة النبطية كلمة آل وبنو نسبة للقبيلة.

هذه بعض الخصائص في الخط النبطي كانت قد استمرت في الخط العربي بعد ظهوره.

وخلال القرن السادس الميلادي ظهر عدد من النقوش العربية هي :

١. نقش زيد المؤرخ حسب تاريخ بصرى ويقابلها بالميلادي ٥١٢م.

٢. نقش اسيس يعود تاريخه إلى سنة ٨٢٨م.

٣. نقش حران يعود إلى سنة ٥٦٨م.

٤. نقش أم الجمال الثاني والذي يعود إلى القرن السادس الميلادي.

هذه النقوش تعود العربية الأربعة والتي ظهرت قبل الإسلام فيها الكثير من التأثيرات النبطية ، تلك التأثيرات التي استمرت على النقوش العربية فيما بعد ففي نصوص القرآن الكريم الكثير من الكلمات المتأثرة بالنبطية مثل (الرحمن ، العلمين) وغيرها ، وكذلك في النصوص العربية الأولى وأميال الطريق.

ويمكن القول أن بعض الحروف العربية كانت قد استمرت بصورتها النبطية مثل حرف الجيم ، ويقرأ حرف السين في النبطية شيناً،

وقد تستعمل النبطية حرف التاء محل حرف الطاء ، كما أن أغلبية أسماء الأنباط عربية مثل الحارث وعبادة وخلد وتعني خالد ولطفو وتعني لطف وعقربو وتعني عقرب(٢٤).

مما تقدم لاحظنا أصالة الخط النبطي ونصوصه المختلفة من الشواهد الأجرية ونصوص النقود واستعرضنا أهم مميزات هذا الخط الذي انحدر عنه الخط العربي كما ظهرت ذلك بوضوح في نصوصه المتأخرة ، وخاصة في نصوص نقش النمارة المؤرخ سنة ٣٢٨م.

وظهر التأثير النبطي بوضوح على الخط العربي حيث نجد الكثير من الكلمات حتى في القرآن الكريم متأثرة بالخط النبطي وحتى حذف حرف الألف من كلمات (الرحمن ، الملائكة ، الصلوات ، العالمين) ، إضافة إلى النصوص العربية الأولى كما في سد الطائف المؤرخ سنة ٥٨هـ بحذف حرف لألف من اسم معاوية حيث كتب معوية كما كتبت كلمة رحمة بالتاء الطويلة كما هو الحال في نصوص أميال الطريق في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ٦٥-٨٦ هجرية. واستمر التأثير النبطي على شواهد القبور وغيرها. (٢٥)

وهكذا نجد بوضوح التأثير النبطي على الخط العربي ولا بد أن نذكر خصائص الخط العربي وهي كما يلي :

١. أداة التعريف في الخط النبطي هو الألف بنهاية الاسم مثل نفسا وتعني النفس وملكا وتعني الملك.
٢. الضمائر المنفصلة والمتصلة واستعمال الضمير المفصل للمؤنث هي وللمذكر هو.
٣. أوزان الأفعال العربية تشبه أوزان الأفعال النبطية.
٤. استعمل الأنباط كلمة (ال) و (بنو) بالنسبة للقبيلة.
٥. عدد الحروف النبطية اثنان وعشرون حرفاً.
٦. الكتابة النبطية تبدأ من اليمين إلى اليسار كذلك في العربية.
٧. خلو الخط النبطي من الإعجام (التنقيط).
٨. إسقاط حرف الألف من بعض الأسماء مثل حرث بدل حارث. (٢٦)

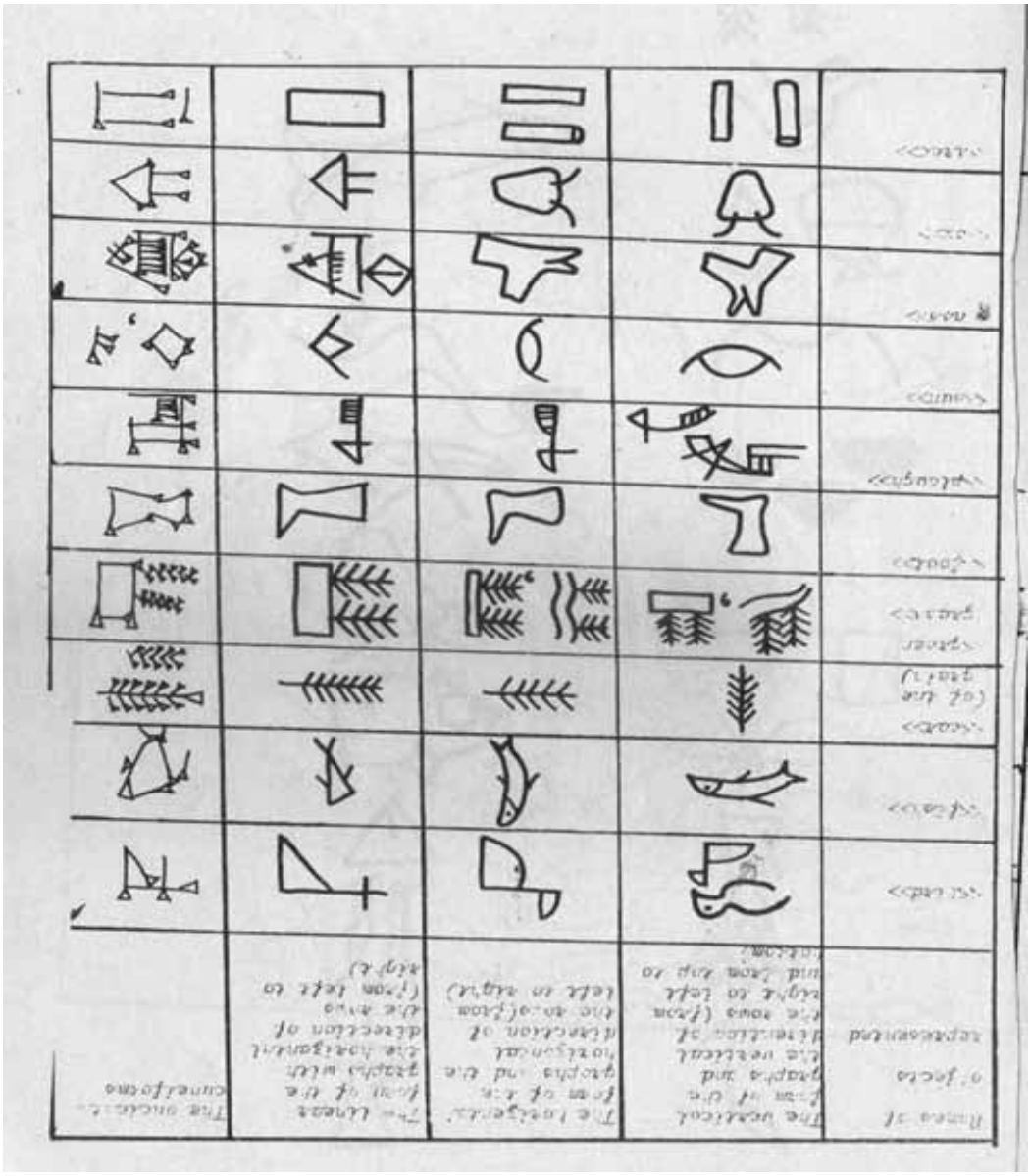

نموذج من الكتابة السومرية – المرحلة المقطعية

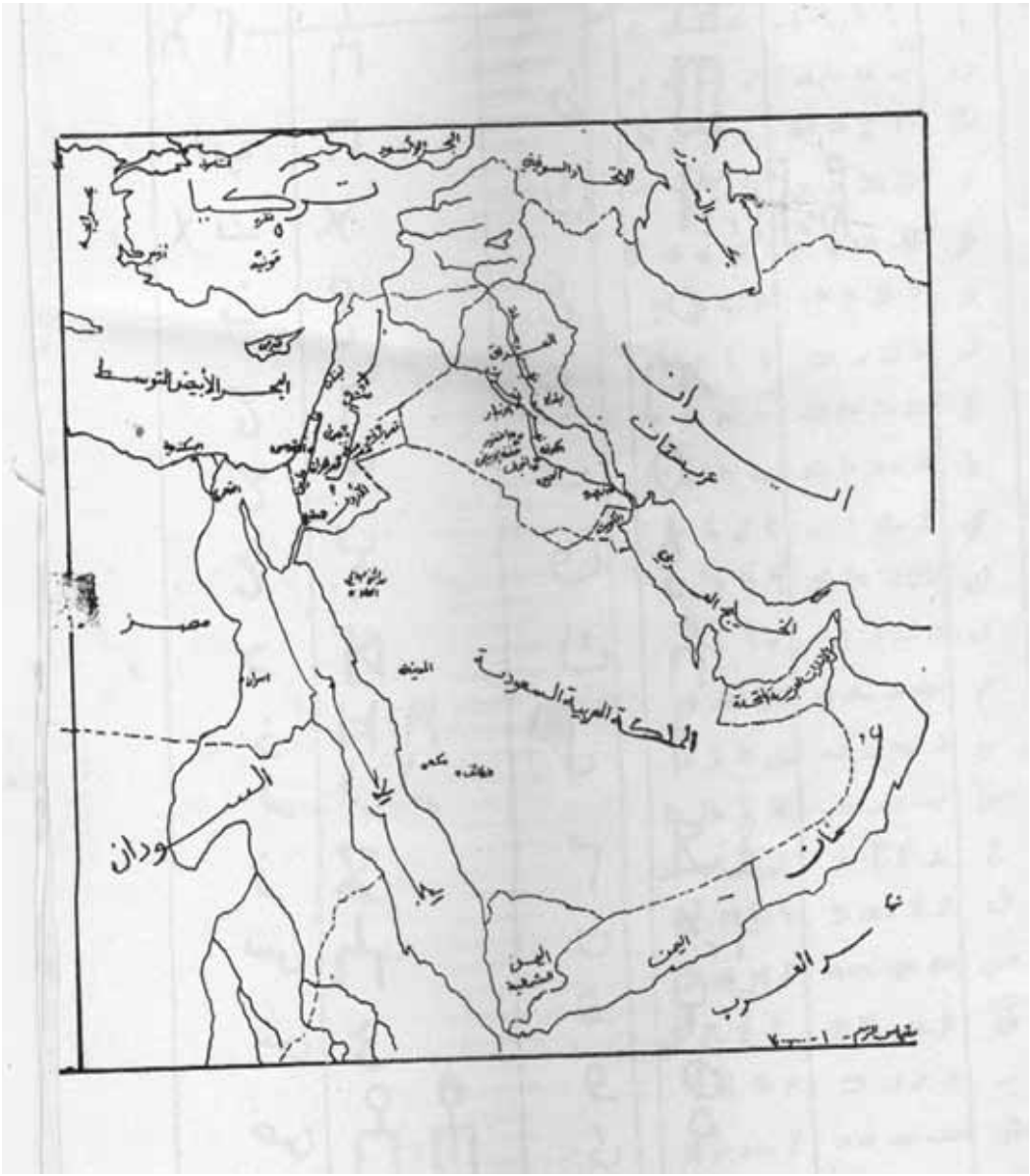

خارطة للمناطق التي ظهر فيها الخط العربي

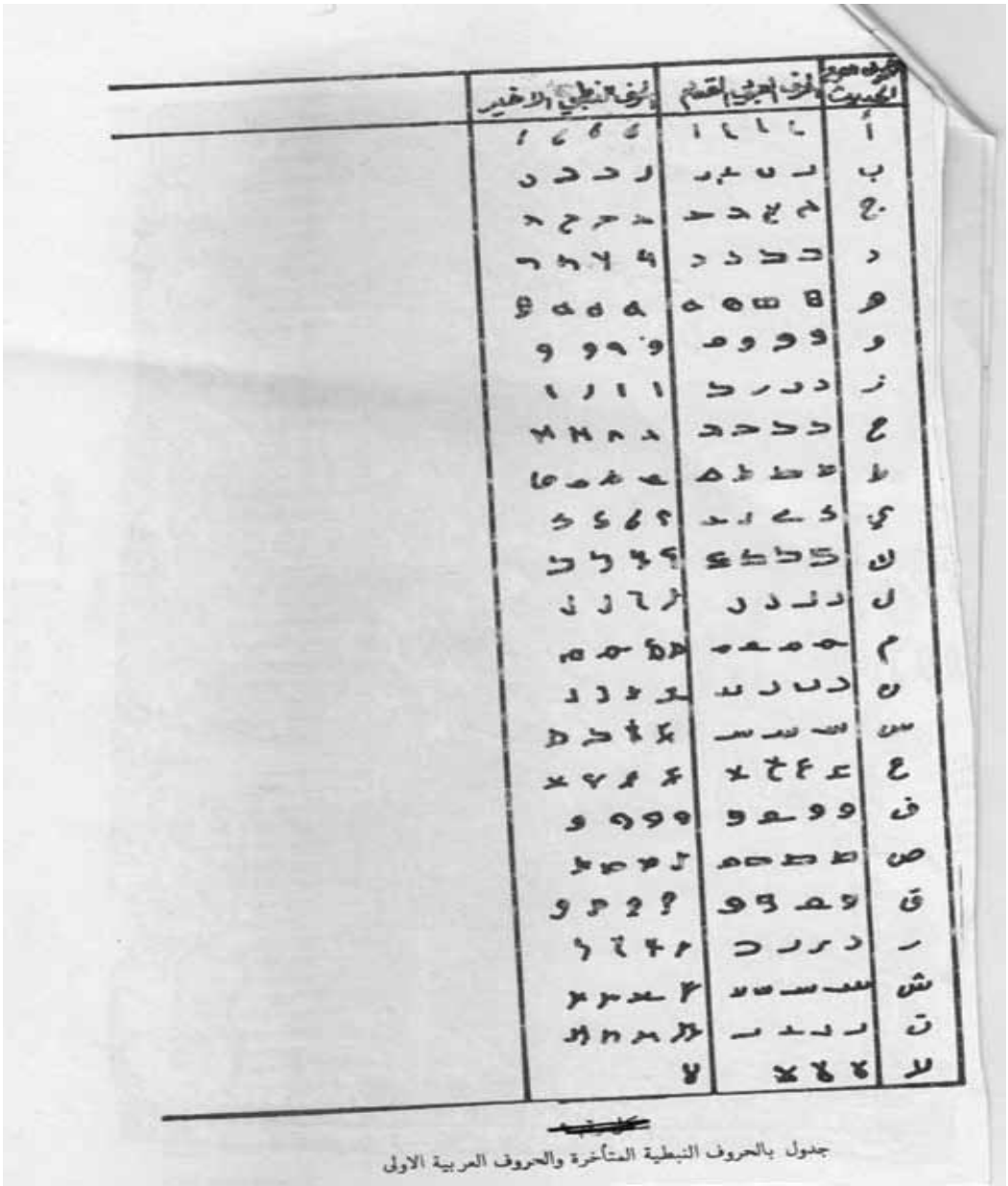

جدول بالحروف النبطية والحروف العربية الأولى

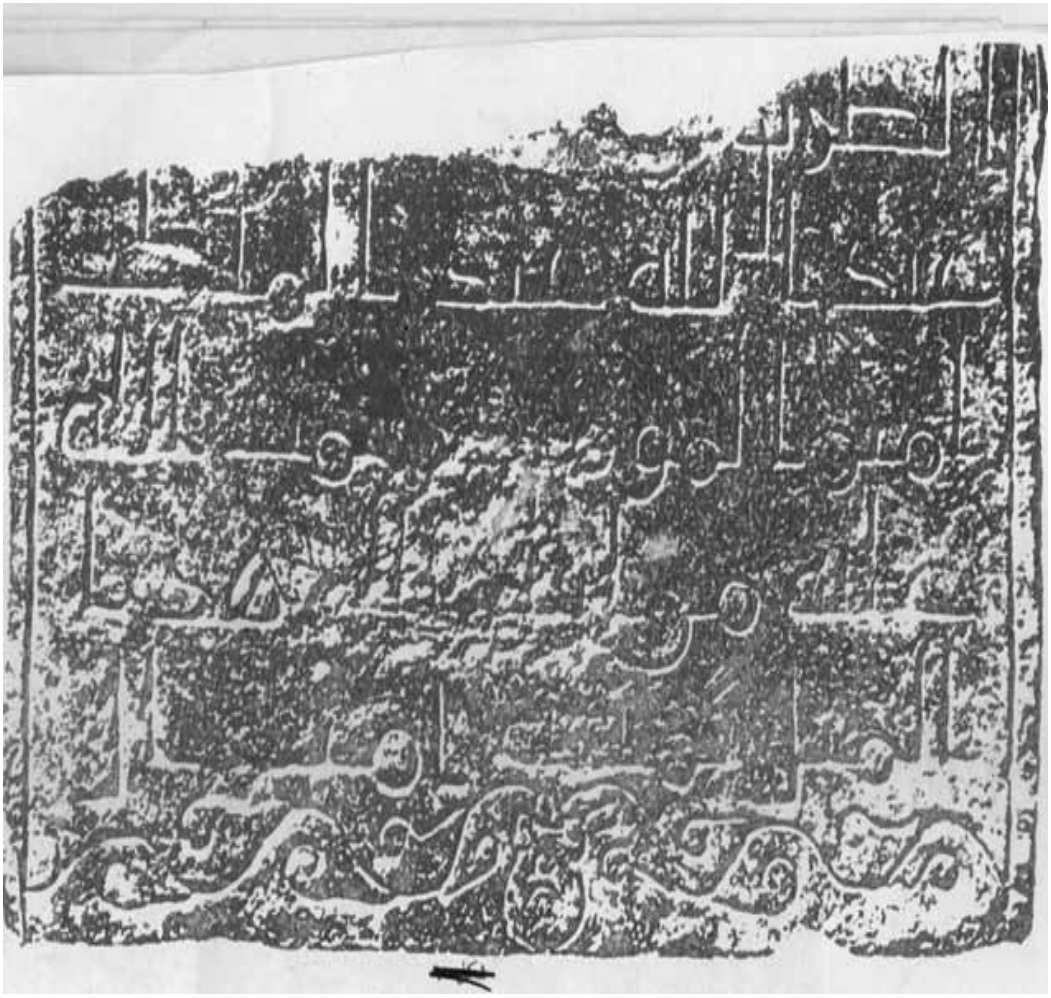

الكتابة على أميال الطريق متأثرة بالخط النبطي

أقدم نقش أموي عثر عليه في العراق وبعض حروفه متأثرة بالخط النبطي

هوامش ومصادر البحث

(١) السيدة اسماعيل كاشف : التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، القاهرة، ١٩٦٠، ص١٢.

(٢) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٦٨-١٩٧٣.

(٣) د. منذر البكر : مصادر تاريخ العرب قبل الإسلام، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد ٦، ١٩٧٥.

(٤) د. محمد زغلول عبد الحميد، تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٧٥، ص١٩.

(٥) د. صالح موسى درادكه : بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام، عمان، ١٩٨٨، ص١٨.

(٦) د. منذر البكر : المرجع السابق، ص١٥.

(٧) د. صالح درادكه : المرجع السابق، ص١٨-١٩.

(٨) د. أحمد فخري : اليمن حاضرها وماضيها، ص٧٧.

(٩) د. جواد علي : المفصل، ج١، ص١٣٣.

(١٠) د. صالح موسى درواكه : المرجع سابق، ص٢٠.

(١١) مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية، إدارة المتاحف والآثار، ب.ت.

(١٢) دي لاسي اوليري : العرب قبل البعثة، ترجمة: د. موسى علي الغول، عمان، ١٩٩٠.

(١٣) د. احسان عباس : تاريخ دول الأنباط، عمان، ١٩٨٧، ص١٢-١٣.

(١٤) د. احسان عباس : المرجع السابق، ص١٤-١٥.

(١٥) د. صفوان خلف التل : تطور المسكوكات في الأردن عبر التاريخ، عمان، ١٩٨٣، ص٣٤.

(١٦) د. خليل يحيى ناجي : العدد ٣، ١٩٣٥، ص٧-١٣.

(١٧) د. صلاح الدين المنجد : دراسات في تاريخ الخط العربي، بيروت، ١٩٧٢، ص١٣.

(١٨) د. صلاح الدين المنجد : المرجع السابق، ص١٤.

(١٩) محمد عبد المقصود عبد الرحيم : سيناء أرض الفيروز، مجلة الفيصل، السعودية، ١٩٨٦.

(٢٠) د. صفوان التل : الآثار العربية والإسلامية في الأردن، عمان، ١٩٨٨، ص٢٥.

(٢١) ناصر النقشبندي : منشأ الخط العربي وتطوره، مجلة سومر، ١٩٤٧، ص١٢٩.

(٢٢) د. صلاح الدين المنجد : المرجع السابق / ص٢٠.

(٢٣) د. محمد ابو الفرج العش، نشأة الخط العربي وتطوره، مجلة الحوليات السورية.

(٢٤) وهيبة الخازن عز سهيلة الجبوري، تطور الخط العربي، بغداد، ١٩٧٥.

(٢٥) د. سامي سعيد الأحمد، المدخل الى تاريخ اللغات الجزرية، بغداد، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، ١٩٨١.

(٢٦) د. سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص٣٥.